الفصل الخامس

الجسر الأمريكي الذي أنقذ إسرائيل

المبحث الأول

عملية " نيكل جراس"

مع أول إرهاصات فجر١٣ أكتوبر، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية أول رحله رسمية من رحلات الجسر الجوي الأمريكي " نيكل جراس "عن طريق طائرات النقل العملاقه (سي ٥ – جلاكسي ، وسي ١٤١)، واللتين كانتا تحملان على متنها دبابات من نوعيه " إم ٦٠" و صواريخ (الأرض / جو) الحديثه في ذلك الوقت ، عن طريق مطار العريش الذي عمل بكامل طاقته لإستيعاب ١٤٣٢٢ رحلة من مطارات القوات المسلحة الأمريكية العامله في أوروبا ومن المطارات العسكرية الأمريكية، ومن المخازن الإحتياطية للأمريكان، بل ومن القواعد الرئيسيه العسكرية في أمريكا.

دشنت أول رحلة طيران من قاعدة "نورفولك" بولاية فيرجينيا لتنهال علي مطار "اللد" ثم مطار العريش المئات من رحلات الطيران.

ولم يتوقف الدعم الأمريكي للصهاينة علي دبابات الـ (إم ٦٠) فحسب بل كانت تشتمل علي الصواريخ التلفزيونية التي تستخدم الأشعه تحت الحمراء مافريك التي كانت تحت الإختبار ولم تستخدم بعد ولم تكن قد دخلت الخدمه بعد في أمريكا ، بالإضافه إلي دبابات (إم ٤٥) وأجهزه إشاره لاسلكية عاليه التشفير، ومعدات حرب إلكترونية كاملة وأجهزه رادار وطائرات فانتوم وطائرات الـ (إيه - ٤) و طائرات (سكاي هوك) وبطاريات صواريخ (هوك) و (فولكان)

وصورايخ (التاو)

وصواريخ (شابرال)) وقنابل (روك أي) وذخائره مدفيه (١٧٥ ملمم) و (١٥٥ ملمم) و (١٠٥ ملمم) ومواسير مدفيعه هذه بالإضافه إلي معدات وأسلحة لم يتم الإفصاح عنها حتي الآن.

مالايعرفه كثيرين أن عملية نيكل جراس لم تكن عملية جوية فقط والحقيقة أن هذه العملية كانت منقسمة لجزئين جسري جوي وجسربحري فالجسر البحري الأمريكي لتل أبيب أثناء حرب أكتوبر يعد أضخم جسر بحري في التاريخ من حيث حجم المعدات والأسلحة الثقيلة حيث نقل ٦٣ ألف طن من المساعدات العسكرية التي تدفقت بعد يوم واحد من بداية الحرب بشكل غير رسمي حيث تم شحن ٢٠٠ طن من الإمدادت يوم ٧ أكتوبر في مهمة سرية وفي طي الكتمان ،بدأت عملية "نيكل جراس " في التنفيذ على محورين "جوا وبحرا" بشكل رسمي من يوم (١٣ أكتوبر إلى ١٤ نوفمبر ١٩٧٣)، بعد تزايد الخسائر الإسرائيلية بصورة غير متوقعة ، ففي بداية الحرب تصور الأمريكان بأن إسرائيل ستلقن العرب درساً لن ينسوه وستنتصر في النهاية لكن كانت الأمور تسير عكس هذا التوقع.

بعد النداء الشهير انقذوا إسرائيل وهزيمة الكيان الصهيوني في الثلاثة أيام الأولي للحرب وتحطم ٨٥ % من قدرات جيش الدفاع الإسرائيلي بالأرقام والحسابات التي أجراها المؤرخ الصهيوني آفي شلايم[١] من خلال رصداً دقيقاً لعدد القطع العسكرية الصهيونية قبيل هذه الأيام ونظيرتها العربية، وما تبقى

---

[١] أفي شلايم. بالإنكليزية : **Avi Shlaim** و بالعبرية **אבי שלייים** ولد ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ في بغداد ، وهو أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أوكسفورد وزميلاً بالأكاديمية البريطانية .

لدى الطرفين في يوم ٩ أكتوبر، فيقول: إجمالي القطع الرئيسية في القوات البرية الإسرائيلية قبيل حرب يوم كيبور بيوم واحد بلغ حوالي ٢٣٥٠ دبابة قتال متوسطة، ١٥٩٣ مدفع ميدان وهاون، ٩٠٦ قطعة مضادة للدبابات.

وكانت هذه القوات تتشكل من ٠٥ قيادات مجموعة عمليات، ١٠ لواءات مدرعة، ٦ كتائب دبابات مستقلة، ١٩ لواء مشاة آلي، ٠٢ لواء مشاة، ٠٣ لواء مظلي، ٢٢ كتيبة ناحال، ٤٥ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة وهاون، ١٢ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات، ٠٣ كتيبة صواريخ مضادة للدبابات.

ومن إجمالي هذا العدد لم يتبق مع بزوغ فجر اليوم الرابع للحرب سوى ٢٤٢ دبابة، ٤٧٠ مدفع، و١٢ مضاد للدبابات.

أما القوات الجوية والدفاع الجوي فقد بلغ قوامها ٧٧٧ طائرة متنوعة، منها ٤٥٧ طائرة مقاتلة، مقاتلة قاذفة، ١٣ موقعا لصواريخ أرض / جو طراز هوك، من ١٥ . ٢٠ كتيبة مدفعية مضادة للطائرات متنوعة الأعيرة، هذا بخلاف كتائب وحدات القوات البرية بواقع كتيبة لكل لواء ولكل قيادة فرقة أي ما يعادل ٣٦ كتيبة، ولم يتبق من هذه القوة سوى ١٨٠ طائرة، وموقعي صواريخ أرض/ جو، وثلاث كتائب دعم جوي.

أما القوات البحرية فبلغ قوامها ٧٧ قطعة متنوعة، منها ٣ سفن إبرار بحري، ٠٣ غواصة، ١٤ زورق صواريخ سطح / سطح، ٠٩ زورق طوربيد، ولم ينجُ منها ١٧ قطعة، ويضيف شلايم: هذه الأرقام المرعبة تؤكد أن إسرائيل مُنيت بهزيمة ساحقة، فلم يسبق لجيش أن فقد هذه الخسائر لا في المدة ولا المعارك بوجه عام.

ولم يكتف شلايم برصد الخسائر الصهيونية، بل تعرض بإسهاب لحجم القوات العربية في سيناء والجولان بعد ٧٢ ساعة من القتال، فيقول: في المقابل لم يخسر العرب أكثر من ٠٧ في المئة من مجمل قواتهم، فقد شملت القوات الجوية العربية قبيل الحرب، ٢٦٠ ميغ ٢١، ٢٠٠ ميغ ١٧، ١٢٠ سوخوي ٧، ٥٠ سوخوي ٢٠، ١٦ سوخوي ١٧، ٢٨ تيوبولوف ١٦، ١٠ أليوشن ٢٨، ١٤٠ هليكوبتر(مي ٤ ومي ٦ ومي ٨)، هذا بخلاف طائرات التدريب من النوع اللام ٢٩ والتي بلغ عددها ٩٠ طائرة، إضافة للدعم العربي وبالأخص الجزائري والذي شمل: ٥٤ ميراج ٥، ٢٥ هوكر هنتر، ٢٥ ميج ٢١، ٢٥ ميج ١٧، ٢٥ سوخوي ٧.

لم تسقط إسرائيل من هذه القوة الجوية سوى أربع طائرات على الجبهة الجنوبية، و١٢ على الجبهة الشمالية.

أما قوات الدفاع الجوي لدى العرب فقد اشتملت على ٤ فرقة دفاع جوي (٢٢ قيادة لواء صواريخ، ١٣٥ كتيبة نيران، ١٧ فوج مدفعية مضادة للطائرات، ٢٨ كتيبة مدفعية مضادة للطائرات، ٥ كتائب صواريخ محمولة على الكتف طراز سام ٧، و٧ أفواج رادار، ٢٠ كتيبة رادار، وحدات مراقبة بالنظر)، لم يدمر منها سوى ما يعادل ١١ في المئة من قوامها. أما القوات البرية والتي تجاوز قوامها الربع مليون مقاتل على الجبهتين، فلم يقتل منها سوى ٧٩٤ بين جنود وضباط، ولم تدمر سوى ٤٠٠ دبابة من جملة ٢٥٠٠ دبابة.

وبعد سرده لتلك الأرقام، وبعد توجيهه اللوم اللاذع للقيادات الصهيونية آنذاك، وللمسؤولين الذين أخفوا تلك المعلومات الخطيرة عن الشعب.

يسرد شلايم: انهار جيش الدفاع الإسرائيلي تماماً في ثلاثة أيام، وبلغت خسائر إسرائيل في الايام الثلاثة ٨١ طائرة ، ١٢٨ دبابة ،١٢٣ أسيراً .(١)

نشرت الصحف المصرية صور مجموعات من الأسرى الإسرائيليين كان السقوط وشيكا لكن الحلفاء وفي مقدمتهم الولايات المتحدة أنقذوا إسرائيل من الكارثة.

بدأ الدور الأمريكي يتكشف في تلك الحرب ولم يعد خافياً علي القاصي و الداني أن واشنطن لا يمكن أن تقبل بفكرة زوال الكيان الصهيوني من الوجود مما يدعونا للتساؤل هل وضعا الرئيسان السادات والأسد أثناء التخطيط للهجوم سيناريو تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إسرائيل؟

المحلل الروسي فاديم كيربيتشينكو يجيب عن هذا السؤال : كان السادات والأسد على قناعة بأن أمريكا ستسعى لإحداث مفاجآت في المعركة، فوضعا خططا للتعامل مع أي تدخل أمريكي يخل بتوازن القوى أثناء الحرب، وكان العرب مدركين أيضا أنهم يقاتلون أمريكا بشكل مباشر، لكن وبعد ثلاثة أيام من الحرب تكبّدت أمريكا خسائر كبيرة، فعمدت إلى استخدام أسلحة فتاكة جديدة تفوق أي تصور أو توقع من جانب العرب.

فكانت الطائرات الأمريكية من طراز سي ٥ غلاكسي تنزل الدبابات الأمريكية لساحة المعركة مباشرة في سيناء عبر مطار العريش، وكان ذلك بعد ٧ ساعات فقط من اندلاع الحرب، لكن المفاجأة أن المقاتلات المصرية دمرت المطار وممرات الإقلاع والهبوط، الأمر الذي أجبر واشنطن على إنزال قواتها في مطارات إسرائيل وكانت تلك الضربة موجعة لأمريكا التي كانت تريد عدم

إضاعة الوقت واختصار المسافات لصد القوات المصرية المهاجمة، ومن أجل توفير الغطاء الزمني لوصول تلك الدبابات لساحة المعركة، كثف الطيران الأمريكي هجماته على الجبهتين المصرية والسورية معا، لكنها في المقابل ونظرا لاندفاعها الجنوني خسرت عددا كبيرا من طائراتها، وكانت المعارك تسير حيث لا تشتهي.

تكبّدت أمريكا خسائر كبيرة في معداتها واقتصادها أيضا، فقد كانت تعوض إسرائيل فورا عن كل طائرة سكاي هوك أو فانتوم تسقط على أي من الجبهتين، وكانت مجبرة على استخدام أعداد مهولة من صورايخ شرايك المتطورة وذات القدرة التدميرية العالية والباهظة التكاليف في ذات الوقت، لكن المحير أن هذا الضغط العسكري الشديد لم يؤثر على تقدم العرب وإحرازهم انتصارات مغايرة لكل القوانين العسكرية، وهذا ما دفع واشنطن إلى إخراج كل ما في جعبتها، ولأول مرة دخل الجيل الأول من القنابل الموجهة بالليزر ساحة المعركة، ولأول مرة خرجت للعالم أسرار باكورة الصناعات الحربية الأمريكية، وظهرت أسماء أسلحة على غرار المافريك والـ تاو، وكان ذلك في اليوم الرابع للقتال، حينما تقدمت القوات المصرية للاستيلاء على المحاور الرئيسية في سيناء، وكان لتلك القنابل الحديثة دور كبير في تدمير اللواء المدرع الذي انطلق في عملية تطوير الهجوم، ولكن هذا لا يعفي المصريين من الخطإ، حيث أن هذه القوات خرجت من نطاق الدفاعات الجوية المصرية، الأمر الذي سهل المهمة على القاذفات الأمريكية، ولو أن خطة الهجوم تلك نفذت تحت مظلة دفاعية جيدة لقال التاريخ كلمة أخرى، فالاستيلاء عليها يفتح الطريق

تماما إلى العمق الإسرائيلي، لكن في المقابل كان التحرك المصري مستندا إلى تيقن القيادات في القاهرة من إبادة معظم القوات الجوية والبرية الإسرائيلية، ولم يكن في حسابهم أن عشرات المقاتلات الأمريكية تنتظر هذه الهفوة.

المصريون دمروا معظم الطائرات وقواعد الصواريخ الهجومية الإسرائيلية، وتصدت الدفاعات المصرية والعربية على طول خط القناة لمحاولات الاختراق الجوية الإسرائيلية، فاضطرت إسرائيل لإصدار قرارها الشهير الذي منع ما تبقى من مقاتلاتها من الاقتراب من ساحة القتال بعمق ٢٠ كيلومترا، حتى المقاتلات الأمريكية حيّدت هي الأخرى في هذه المنطقة، فتحركت القوات المصرية بنجاح تحت هذا الدرع القوي وبمجرد الإنسلات منه انقضت أمريكا على العرب، ورغم إحرازها بعض التفوق حتى اليوم الرابع عشر من الحرب إلا أن اقتصادها كان على وشك الانهيار، فقد كانت الولايات المتحدة ترسل الدبابات إلى إسرائيل من المخزون الاستراتيجي المباشر، بل إنها رفعت نسبة التصنيع في العام التالي للحرب في مصانع الدبابات لتعويض خسائرها في حرب أكتوبر، وكذلك رفعت إنتاجها من الصواريخ المضادة للدبابات في نفس السنة من ١٢٨٥٢ صاروخ إلى ٣٥٤٨٧ صاروخ، وانطلى الأمر على المقاتلات وكافة القطع الحربية، وواجهت أمريكا أزمة اقتصادية عاصفة، كان من الممكن لو استمرت الحرب أن تهدد بانهيار القوة العظمى.

النصر حليفاً للعرب والأمور تسير كما خطط لها والجبهتين المصرية والسورية تحرزان تقدماً كبيراً فمن الطبيعي تطوير الهجوم حتي الوصول لخط المضايق وكان بعض القادة كالفريق الجمسي ينادون بذلك لتضييق

الخناق علي العدو وحتي لايأخذ زمام المبادرة لكن المفاجأة الرئيس السادات يوقف الحرب ويقبل بوقف إطلاق النار.

وإلي الآن مازالت أصوات كثيرة تتهمه بالجبن والتخاذل والعمالة والخيانة والتخلي عن الجبهة السورية.

الأقدر علي الإجابة عن هذا السؤال أو بالأحري الإتهام الرئيس أنور السادات نفسه ففي كتابه البحث عن الذات يرفض هذا الإتهام ويبرر قبوله بوقف إطلاق النارىقوله:

أتضح لي في اليوم الأول من الحرب أن القمر الصناعي الأمريكي كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بساعة، وأخطرهم بنقل الفرقة المدرعة ٢١ من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد.

وأقر هنا للتاريخ أن روسيا التي تدعي وقوفها مع الحق العربي لم تبلغنا بشيء بواسطة أقمارها الصناعية التي تتابع المعركة، ثم حدث تطور خطير بدأت أشعر به، وأنا أتابع الحرب من غرفة العمليات لقد استخدم الجسر الجوى الأمريكي لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول الطائرات الأمريكية الجبارة التي تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة والعريش تقع خلف الجبهة، وبدأت ألاحظ تطورا خطيرا في معارك الدبابات التي اعترف الإسرائيليون أنفسهم بشراستها وكفاءة المصريين في إدارتها، كنت كلما أصبت لإسرائيل ١٠ دبابات أرى مزيدا من الدبابات.

لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل بعد النداء المشهور . أنقذوا إسرائيل . في اليوم الرابع، وهي تستخدم بكل صراحة مطار العريش المصري الذي يقع خلف الجبهة بكل وضوح لكي تحول الهزيمة الإسرائيلية إلى انتصار...

وتذكرت في تلك اللحظات ما فعلته أمريكا على جبهة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ثم على الجبهة اليابانية، أما التطور الثالث والخطير، فهو أن أطلق صاروخان على بطاريتين مصريتين للصواريخ فعطلا البطاريتين تعطيلا كاملا، وعرفت بعد ذلك أنه صاروخ أمريكي جديد يسمى القنبلة التلفزيونية وأنه كان لايزال تحت الاختبار في أمريكا، فأرسلته لنجدة إسرائيل، لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل حتى بالأسلحة تحت الاختبار، وقنبلة المافريك وأسلحة أخرى، وأنا أعرف إمكاناتي وأعرف حدودي، لن أحارب أمريكا، ولذلك بعد عودتي من غرفة القيادة كتبت للرئيس الأسد شريكي في القرار برقية أخطره فيها أني قررت الموافقة على وقف إطلاق النار...

وسجلت في هذه البرقية موقفي، وهو أني لا أخاف من مواجهة إسرائيل، ولكني أرفض مواجهة أمريكا وإني لن أسمح أن تدمر القوات المصرية مرة أخرى وإنني مستعد أن أحاسب أمام شعبي في مصر وأمام الأمة العربية عن هذا القرار، وفي هذه الليلة اتخذت القرار بوقف إطلاق النار فقد كان لي عشرة أيام أحارب فيها أمريكا وحدي بأسلحتها الحديثة التي لم يستخدم أغلبها من قبل، وكان الموقف على غير ما يتصوره العالم كله فقد كان اعتقاد الجميع في العالم أن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانبنا، وأنه قد أرسل الجسر الجوي لنجدتنا ولكن الموقف كان غير ذلك في الواقع... فأمريكا وإسرائيل في مواجهتي، والاتحاد

السوفيتي في يده الخنجر ويقع وراء ظهري ليطعنني في أية لحظة عندما أفقد ٨٥٪ أو ٩٠٪ من سلاحي كما حدث في سنة ١٩٦٧.

يؤكد هذا الإتجاه شهادة رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة العربية الفريق محمد عبدالغني الجمسي في كتابه حرب أكتوبر ١٩٧٣. فيقول: في اليوم الرابع للقتال ٩ أكتوبر كانت القوات المصرية قد حققت إنجازاً عسكرياً، وتحطمت كل هجمات إسرائيل المضادة. وكان لابد من استمرار الهجوم لتحقيق الهدف الاستراتيجي للحرب وهو الوصول إلى خط المضايق؛ ذلك لأن ترك العدو بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادرة له، خاصة وأن حجم قواته أخذ في التضاعف بشكل مقلق، وقد تناقشت مع الفريق أول أحمد إسماعيل ووجدت منه الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقا، فكان يرى الانتظار لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة، وتلقين الولايات المتحدة درسا قاسيا، لكن تأخير الهجوم إلى يوم ١٤ أكتوبر حرم مصر من تحقيق نصر ساحق على إسرائيل وأمريكا معا، حيث ضاعفت أسراب المقاتلات الأمريكية هجومها ضد قواتنا، فبلغت خسائرنا في هذا اليوم ٢٥٠ دبابة أي أكثر مما فقده العدو بقليل وتوقف هجوم قواتنا.

بات واضحا لنا في غرفة القيادة أننا نقاتل ليس فقط التكنولوجيا الأمريكية والدعم العسكري اللامحدود، وإنما نقاتل أمريكا ذاتها، وكان ذلك سببا مباشرا في فشلنا في تطوير الهجوم واختراق المضايق المؤدية إلى فلسطين المحتلة.

سابقت الولايات المتحدة الأمريكية الزمن لتعويض خسائراسرائيل بشحنات عاجلة من المقاتلات والصواريخ وأحدث الدبابات والمعدات العسكرية التي لم تستخدم بعد في ميادين القتال ،وأقامت امريكا أضخم جسر جوي في التاريخ لنقل هذه المعدات الي اسرائيل.

استخدمت واشنطن في عمليات النقل هذه ٢٣٨ طائرة نقل ونفذت ٥٦٩ طلعة جوية نقلت خلالها ٢٢,٥ ألف طن معدات عسكرية وأسلحة،كما شاركت ثماني طائرات نقل مدنية تابعة لشركة العال الجوية الاسرائيلية نقلت ٥٥٠٠ طن معدات عسكرية،بخلاف ما تم شحنه بحرا وبرا ،حتي بلغ اجمالي ما تم شحنه من أسلحة ومعدات عسكرية أمريكية الي ميدان القتال لمصلحة إسرائيل ٢٣ ألف طن من المدافع والدبابات والعربات المدرعة.

كانت طائرات الفانتوم التي امدت بها امريكا اسرائيل يقودها طيارون أمريكيون رأسا الي المطارات الاسرائيلية في الوقت نفسه يقرر الكونجرس الأمريكي اعتبارهذه الإمدادات العسكرية هدية لاسرائيل

بدون ثمن كما أعلن البنتاجون ان الجسر الجوي الامريكي من الإمدادات العسكرية لاسرائيل لن يتوقف حتي بعد وقف إطلاق النار.

المبحث الثاني

ثغرة الدفراسوار البقعة السوداء في نصر أكتوبر.

في مذكرات رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، بنيامين أليعازر،يعترفبأن البنتاجون نصحه بالحصول على أي مساحة غرب القناة لذلك لم تتواني إسرائيل في تنفيذ توجيهات واشنطن العسكرية.

ففى ليلة ١٦ اكتوبر تمكن شارون من التسلل عبر منطقة الدفراسوار ببعض الدبابات وبناء جسر معدنى والعبور لغرب القناة واحتلال السويس وتطويق الجيش الثالث الميداني من الإسماعيلية وحتى مدينة السويس جنوبا من خلال ما عرف بثغرة الدفرسوار التى كانت بين الجيشين الثاني والثالث الميداني امتداداً بالضفة الشرقية لقناة السويس وتحديدا جنوب الاسماعيلية.

في يوم الجمعة ١٩ اكتوبر.٢٣ رمضان ، اصدرت القيادة المصرية بيانين ٤٨ ، ٤٩ في الساعة الثامنة الا الثلث مساء واشارا الي عملية التسلل الي منطقة الدفرسوار ، وركزت اذاعة اسرائيل ووسائل اعلامها علي عملية التسلل الي الضفة الغربية للقناة التي يقودها قائد المنطقة الجنوبية (إربيل شارون) تحويلاً للأنظار عن المعركة الرئيسية في قلب سيناء.

السبت ٢٠ اكتوبر .٢٤ رمضان ، اصدرت القيادة المصرية بيان رقم ٥٠ وقدر المراقبون ان الحشد المدرع في ميدان القتال يضم مالايقل عن ١٤٥٠ دبابة ، وتم اسقاط ١٥ طائرة اسرائيلية واسر بعض طياريها ، واشارت البيانات

الصحفية الي مغامرة الدفرسوار وكيف تمكنت القوات المتسللة من تكوين جبهتين رئيسيتين علي الشاطئ الغربي للبحيرات ، الاولي في منطقة سرابيوم ، والثانية في الدفرسوار، وأمكنها من الاحتفاظ بخط إمداد مع الشاطئ الشرقي للقناة عن طريق اسفين بين الجيشين الثاني والثالث المصريين.

تأزم الموقف أكثروأكثروزاد الوضع تعقيداً بنشر إسرائيل صوراً لجولدا مائير في منطقة الزيتية القريبة من السويس التي خاضت معركة بقاء شرسة.

سارع الرئيس السادات بعقد مؤتمر بمقر القيادة كان رأي الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان بسحب الفرقة الرابعة واللواء ٢٥ المدرع من نطاق الجيش الثالث ودفعهما بمساندة طائرات الU 16 الروسية، لتصفية الثغرة بمن فيها مصريين وإسرائيليين تماماً والقضاء عليها في مهدها.

لكن السادات رفض الفكرة بشدة، سعياً لـ"حفظ أرواح أبنائه الجنود"، وقال للفريق الشاذلى " لا اريد أن أسمع هذه الإقتراحات مرة ثانية لو أثرت هذا الموضوع مرة أخرى سأحاكمك"

لينشب بعدها الخلاف الشهير بين الرجلين، أقال السادات بعده رئيس أركانه الغاضب.

ولم تمر أيام قليلة حتى عبرت عدة فرق إسرائيلية غرب قناة السويس وطوقت الجيش الثالث وحاصرته ليتم الإختراق

عبر رأس جسر سريع بقوة ٧ دبابات و٣ مدرعات و ٢٥٠ فرد مشاة بقيادة الجنرال إيريل شارون.

تدفقت القوات الاسرائيلية على منطقة غرب القناة ووصلت إلى ثلاث فرق مدرعة بقيادة شارون وابراهام وماجن.

في مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى يتهم السادات صراحة بأنه "أجهض النصر الكبير وأنه مسئول مسئولية كاملة عن حصار الجيش الثالث وأن التراخي مع الثغرة كان أول غلطة كبيرة ترتكبها القيادة المصرية خلال الحرب وأن هذه الغلطة جرّتنا "إلى سلسلة أخرى من الأخطاء التي كان لها أثر كبير على سير الحرب ونتائجها"

تمكن شارون لبعض الوقت من قطع خطوط الاتصال بين الجيش الثالث والقيادة العامة.

كما قام شارون بالهجوم على ميناء الأدبية والزيتية حيث مواقع القوات الجزائرية، فصمدت هذه القوات في وجه الهجوم البري الإسرائيلي.

كانت الخطة الأمريكية الإسرائيلية تقضي بالإستيلاء على هذين الميناءين لاستخدامهما في نقل العتاد الأمريكي الثقيل دبابات ومدفعيه لساحة المعركة التي أراد الأمريكيون من خلالها إيصال رسالة للعرب مفادها:أن الطريق إلى القاهرة هو الآخر مفتوحا، فلا داعي من التفكير في الزحف نحو تل أبيب.

كانت هذه أفضل فرصة لقنص القوة الإسرائيلية والإجهاز علي شارون الذي أصبح وحيداً معزولاً بدون وقود ولا ذخيرة، وكان المنطق العسكري يؤكد أن هذه القوة الإسرائيلية لا مصير لها سوى الإبادة أو الأسر، وخاصة بعد أن تصدت القوات الجزائرية لطائرات الدعم الأمريكية وأسقطت واحدة منها في

خليج السويس، فقطعت عنه الإمدادات الإسرائيلية والأمريكية معا، وحاصرت القوات الجزائرية مدعومة بكتيبة من قوات الصاعقة المصرية وصائدي الدبابات القوات الإسرائيلية بين الأدبية ومنطقة الكيلو ١٠١، فبكى شارون وجنوده بكاءً مريرا ففشلت خطتهم فشلاً ذريعاً وأصبح شارون بين شقي الرحي محاصراً.

زاد الأمر مرارة في نفوس الإسرائيليين، عندما اعترف قائد الثغرة شارون بفقده ٣٠٠ قتيل و١٠٠٠ مصاب في ليلة واحدة من معارك الثغرة.

في يوم الثلاثاء ١٦ اكتوبر أصدرت القيادة المصرية بياناً رسمياً في الساعة الثالثة الا الثلث ظهرا وتضمن قيام القوات المصرية بصد وتدميركافة هجمات العدوعلي رؤوس الكباري شرق القناة في المحور الاوسط وبلغت خسائر اسرائيل ١٥ طائرة ، ٨٥ دبابة ، ٥٦ عربة نصف مجنزرة وأسر أطقم كاملة من الاسرائيليين،ثم اذاع المتحدث العسكري البيان رقم ٤٤ وتضمن محاولة بعض مفارز العدو المدرعة من الكوماندوز بعبور البحيرات المرة في طرفها الشمالي عند الدفرسوار مستخدمة ٧ دبابات للاغارة علي المواقع المصرية غرب القناة.

تأزم موقف شارون وقواته بعدما بادر السادات بإعلانه إمكانية القضاء على الثغرة، ليرتعد الإسرائيليون.

يعترف وزير الدفاع الراحل موشي ديان بخطأ عبور قواته واقترح إلغاء الفكرة "لأن المصريين سيذبحون أولادنا على الشاطئ الغربي".

لكن الجنرال جونين قال: "لو كنا نعلم مسبقاً أن ذلك سيحدث ما بدأنا عملية العبور، أما الأن فقد عبرنا فلنستمر حتى النهاية المريرة"...

تعقد وضع القوات الإسرائيلية غرب القناة وأصبحوا في مأزق صعب محاصرون بين الموانع الطبيعية والإنهاك والرعب من الهجوم المصري المضاد الوشيك المتوقع الذي سيبيدهم عن آخرهم.

في يوم الثلاثاء ٢٣ اكتوبر تفجر القتال في منطقة القناة بعد ساعات من توقف العمليات الحربية، أصدرت القيادة المصرية ٣ بيانات اذيع الأول في الساعة ١٠:٣٧ صباحا و تضمن استغلال العدو وقف اطلاق النار و قيامه بدفع عدد من الدبابات ليلا الي منطقة الدفرسوار محاولا التسلل لاكتساب بعض المواقع الجديدة التي لم يكن له وجود فيها قبل قرار وقف اطلاق النار و تصدت لها القوات المصرية و تطور القتال باشتراك الطيران و خسر العدو ٧ طائرات.

واذيع البيان الاخير في الساعة العاشرة مساء ، ومما ورد به: خلال اليوم اخذت قوات العدو تنتشر جنوبا في اتجاه مدينة السويس محاولة قطع طريق الامدادات و المواصلات بين السويس و القاهرة ، واخذت مفارز العدو منذ الصباح تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية ، واصدرت الحكومة المصرية بياناً كشفت فيه تعمد اسرائيل خرق قرار مجلس الامن ، و عاد مجلس الامن للانعقاد و اصدر قراره رقم ٣٣٩ بالوقف الفوري لجميع أشكال اطلاق النار وكل الاعمال العسكرية فقرر الرئيس السادات اشتراك قوات المقاومة الشعبية في القتال المتلاحم غرب القناة باعتبار انها معركة كل الشعب.

في يوم الاربعاء ٢٤ اكتوبر - ٢٨ رمضان، أصدرت القيادة العامة العامة المصرية ٣ بيانات اذيع الأول في الساعة ١٢:٣٠ ظهرا متضمنا تأكيد إسرائيل علي خرق قرار وقف اطلاق النار كما حدد البيان المواقع التي تسيطر عليها القوات المصرية شرق وغرب القناة مستثنيا ثغرة بطول ٦,٥ كيلو متر ملاصقة للبحيرات المرة وتواجد وحدات فرعية للعدو مبعثرة ومتداخلة بين القوات المصرية في بعض الأجزاء غرب القناة خلف المحور الجنوبي حتي الأدبية ، وأذيع البيان الأخير في الساعة ٥,٤٥ بعد الظهر ورد فيه: في هذا اليوم حشد العدو قوة كبيرة من دباباته ليقتحم بها مدينة السويس عن طريق الزيتية و طريق السويس -القاهرة والمصانع من أجل تطويق مدينة السويس ، اعتقدت القوات الإسرائيلية أنها في نزهة الي مدينة السويس وأنها عبارة عن مدينة يسكنها الأشباح و بمجرد ان وطء العدو الصهيوني أرض مدينة السويس ليفاجاء بخروج الكمائن المصرية وأطقم اقتناص الدبابات و الصواريخ المضادة للدبابات والمقاومة الشعبية التي استبسلت من أجل الدفاع عن مدينة السويس ، وتطور الصراع حتي وصل الي القتال بالسلاح الأبيض حتي حل الظلام فأجبرت القوات الاسرائيلية علي الفرار والانسحاب مخلفة وراءها أعداد كبيرة من الدبابات المحترقة و جثث قتلاهم المتفحمة.

حاول العدو مرة ثانية مهاجمة المنطقة الواقعة جنوب الأدبية ولكنه فشل بفضل تلاحم الجيش المصري مع المقاومة الشعبية لأهالي السويس لذا قرر الرئيس السادات ان يكون يوم ٢٤ اكتوبر عيدا قوميا للسويس وللمقاومة الشعبية.

في يوم ٢٥ اكتوبر الموافق أول أيام عيد الفطر المبارك قامت القوات الإسرائيلية بمحاولتين لاقتحام مدينة السويس ولكنهما فشلتا.

في ساعة مبكرة من صباح الاحد ٢٨ اكتوبر قامت القوات الاسرائيلية بمحاولة خامسة و أخيرة لاقتحام مدينة السويس ولكنها فشلت.

تأكد للولايات المتحدة من خلال أقمارها الصناعية من قدرة الجيش علي تطويق الثغرة.

فسارعت واشنطن بإيفاد وزير خارجيتها الثعلب الماكر هنري كسينجر، الذي أبلغ السادات بعلم بلاده بقدرة القوات المصرية على تدمير الثغرة، والقضاء على ما يقرب من ثلث الجيش الإسرائيلي.

ولكن كسينجر أبلغ السادات بكل وضوح وبلهجة حادة قاطعة في عرف السياسة تعتبر نوعاً من أنواع التهديد الصريح والمباشر بأن واشنطن لن تقف صامتة لو حدث هذا وستتدخل بقوات أمريكية مباشرة.

فردّ السادات بكل قوة بأنه لن يترك شبراً من سيناء حتى ولو كلفه هذا تدميرالجيش المصري بأكمله، فعاد الثعلب المراوغ كسينجر لتهدئة الأجواء.

"أعدك بعودة سيناء بالمفاوضات مقابل وقف إطلاق النار"

وبدأت وقتها مفاوضات السلام الشهيرة والتي عرفت بمفاوضات "الكيلو ١٠١" نسبة إلى طريق السويس القاهرة.

احدي عجائب هذه الحرب والغازها هو هذه الثغرة وموقف السادات منها فقوات شارون أصبحت علي أبواب القاهرة ولم يفصل بينها وبين القاهرة

إلا ٦٠ ك فقط ولكن الهجوم المصري الحقيقي لم يأتِ بعد ولم تطلق القاذفات المصرية اى قنبلة على القوات الإسرائيلية.

من المسئول عن الثغرة ؟

ولماذا لم ينصت السادات لرأي قادته كان في استطاعة القوات الجوية المصرية إبادتها عن بكرة أبيها بتوجيه ضربه جويه لهذه القوات الإسرائيلية التي عبرت القناة أو يترك هذا لنا؟

كان شارون يبكي كالنساء ويرفض الانصياع لقادته لأنهم تركوه وجنوده بين شقي الرحي وقال نصاً لقادته في تسجيل نشره الكاتب الكبير موسى صبرى في كتابه وثائق حرب أكتوبر: أن المخابرات العسكرية المصرية تحتفظ به، قال :" لقد كان شارون يتحدث إلى قائد طائرة هيلكوبتر وهو يبكى صارخاً ويقول "الموقف خطير، أمامى ٢٥٠ قتيلاً وجريحاً، أرسلوا بسرعة طائرات هليكوبتر، لتساعد فى نقل الضحايا، نحن هنا في الجحيم ننتظر الموت وأنتم تصدرون الأوامر من مكاتبكم المكيفة!

كيف استطاعت القوات الإسرائيلية في ١٧ أكتوبر بناء كوبرى معدنى يستغرق بناءه اكثر من ٥ ساعات في وضح النهار دون توجيه ضربه جوية لتدميره؟ من المسئول الأول عن الثغرة وتضخيمها التي أصبحت كبقعة سوداء في ثوب نصر أكتوبر الأبيض؟

لماذا اصر السادات على تطوير الهجوم دون وجود مظلة جوية تحمى القوات البرية على الارض؟

لماذا اصر السادات على تفريغ هذه المنطقة بالتحديد من القوات ؟

ولماذا لم تنفذ الخطة التي سميت (شامل) لتدمير هذه القوات الاسرائيلية لدق المسمار الأخير في نعش الأمل الإسرائيلي الأخير الذي شوه نصر أكتوبر؟

الحديث عن الخطة (شامل) التى أعدتها القوات المسلحة لتصفية قوات العدو فى ثغرة الإختراق غرب قناة السويس، يبدو مقتضبا فى معظم المراجع العسكرية التى تناولت حرب أكتوبر، لكن هناك اتفاق على أن أهداف القيادة المصرية من هذه الخطة كان يتمثل فى إحداث أكبر قدر من الخسائر فى قوات العدو وأسلحته ومعدته، مع القيام بعمليات إزعاج للعدو على أوسع نطاق ممكن حتى يصبح بقاؤه غرب القناة جحيما لا يحتمل، بالإضافة إلى إرغام إسرائيل على الاستمرار فى تعبئة قواتها الاحتياطية، مما يرهق اقتصادها القومى، ويهدد الحياة العامة بالشلل الكامل، مع منع العدو من تحسين وتحصين مواقعه شرق وغرب القناة .[1]

تم وقف إطلاق النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر، بعد وصول قوات الأمم المتحدة، واعتبارا من يوم ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو غرب وشرق القناة. كانت أمامنا مهمة رئيسية وهى ألا نسمح للعدو بأن يتمركز أو يتخندق ويثبت أقدامه فى الغرب. كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة، إلى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة.

---

[1] كتاب المعارك الحربية على الجبهة المصرية للمؤرخ العسكرى اللواء جمال حماد.

وضعت الخطة (شامل) الهجومية.. نوقشت ،صدق عليها القائد العام ،وتقرر أن يعين لقواتنا فى الغرب قيادة منفصلة تقود جميع أنواع القوات لتصفية الجيب، ونترك قواتنا فى الشرق تقاتل معركتها. وقوات الجيش الثانى تقاتل معركتها، وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة (الطيران والدفاع الجوى والبحرية)، واختير اللواء سعد مأمون (بعد شفائه من الأزمة القلبية) لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة. وعرضتها على السيد الرئيس القائد الأعلى أنور السادات فى ٢٤ ديسمبر وصدق عليها.. ولم يتبق إلا تحديد الموعد بقرار من القائد الأعلى للقوات المسلحة.

حرب الاستنزاف كانت مستمرة.. طبقا للتخطيط الموضوع لها، وهو ضرب قوات العدو شرق وغرب القناة، وعلى طول المواجهة بهدف إيقاع أكبر خسائر فى أرواحه ومعداته، ومنعه من تحسين مواقعه.

وطبقا لبيانات الأمم المتحدة قامت قواتنا بـ٤٣٩ عملية ضد العدو.. ٣٩ عملية فى نوفمبر و٢١٣ فى ديسمبر، ومن أول يناير إلى ١٧ يناير ١٣٣ عملية. وهذه هى الخسائر التى أعلنها العدو: ١١ طائرة، ٤١ دبابة ومدرعة، ١٠ رشاش ثقيل، ٣٦ معدة هندسية، ١٨٧ قتيلا. لم يحدث إذن أى توقف فى عملياتنا.. حتى تم اتفاق فك الارتباط (الاشتباك).. استمرت حرب استنزاف لم تترك للعدو هدوءا ليلا ونهارا.

خطة تصفية الثغرة (شامل) سلمت إلى جميع قيادات القوات المسلحة فى ٧ ديسمبر ١٩٧٣، وصدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها (تخطيط، إعداد، تدريب، استكمال)، وترك تحديد ساعة الصفر

للقائد الأعلى (السادات) لاختيار الوقت المناسب سياسيا، وتم هذا فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات الذى صدق على الخطة. فى ٢٤ ديسمبر، وكان أمره «كونوا جاهزين فى أى لحظة.[١]

بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير أحمد إسماعيل بقيادة الهجوم على الثغرة فى الساعة الثالثة من مساء ١٢ ديسمبر.. استدعاه القائد العام وقال له: «يبدو يا سعد إنك ستغادرنا إلى الميدان من جديد، كمندوب للقائد العام لقيادة القوات الرئيسية غرب القناة لتصفية الثغرة. أنت من الآن مسئول أمام وزير الحربية والقائد العام عن تدمير الجيش الإسرائيلى.. وثقتى فيك لا حدود لها».

في حوار للواء سعد مأمون مع الصحفى الكبير موسى صبرى بصحيفة أخبار اليوم يسرد اللواء مأمون تفاصيلاً أكثر عن الخطة شامل بعدما سافر اللواء سعد مأمون إلى الجبهة على الفور، وقام بجولة على الحدود الأمامية للقوات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. وقام بتعديل الخطة (شامل) على الطبيعة وفق ما ظهر أمامه من حقائق جديدة فى الميدان، وصدق وزير الحربية على التعديل الأخير.

---

[١] حوار للمشير محمد عبدالغنى الجمسى، الذى خلف الفريق سعد الشاذلى فى رئاسة الأركان العامة اعتبارا من يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٣مع الصحفى الكبير الراحل موسى صبرى وتصريحات نادرة عن بعض تفاصيل الخطة (شامل) أخبار اليوم.

طبقاً للواقع العسكري والتمركز الإسرائيلي علي الأرض فيسهب عن الخطة شامل:

اعتمدت الخطة شامل على تقدير سليم لموقف العدو، وتحديد واضح لنقاط ضعفه، وتحديد سليم لنقاط قوته كان العدو فى مصيدة، وكان يجب أن أزيده إحساسا بأنه فى مصيدة، كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية. كان يدافع فى حالة نفسية سيئة.

ويبدو قلقه فى جميع تصرفاته، كما أن أوضاعه الدفاعية تدل على فزعه.. مثلا رص العدو أمامه حوالى ٧٠٠ ألف لغم. حفر خنادق مضادة للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ إلى ٧ أمتار، وعمق ٥ أمتار) كان لديه من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ دبابة. وكان شعارى أن نلقن العدو درسا أقسى من دروس العبور وتحطيم حصون بارليف. وواقع الحال أن الجيب الإسرائيلى فى الغرب كان هشا.. كل دبابة للعدو فى الغرب كان يقابلها حوالى دباباتين فى قواتنا، وقطعتين مضادتين للدبابات.. علاوة على نيران المدفعية والطيران، علاوة على احتياطى القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير أحمد إسماعيل.

وقد قدرت الخطة الموضوعة لتصفيتة كافة الاحتمالات، بطريقة لعلها أحسن من تحضيرات ٦ أكتوبر، وكان تفكيرى أن النصر فى هذه العملية لا يحتمل الجدل ولا التجربة، وقمنا بمشروعات حقيقية على أرض مشابهة.

كان التقدير: بالنسبة للوضع العسكرى العام احتواء العدو تماما فى الغرب.. لقد حاصرنا العدو من كل جانب، وله منفذ واحد فى الدفرسوار لا

يزيد عرضه على ٦ كيلومترات، وكان مقررا إغلاق هذا المنفذ بالقوات فى ساعات قليلة.. وهذه الشريحة كان مخصصا لها أعداد هائلة من القوات.

كان من المقرر أن نصفى الجيب الإسرائيلى على محاور بالتعاون مع كافة أفرع القوات المسلحة، أى أننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات (تم التعديل لتصبح ٥ اتجاهات).

كانوا حقا فى مأزق فقوات العدو فى ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس جسر واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلومترا مربعا (٧ فى ١٠).. قواتنا فى الشرق كانت قد صنعت رؤوس جسور فى الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلومتر مربع، أى مائة ضعف، كان موقف العدو العسكرى حرج للغاية.

لذلك حاول أن يعوض هذا الوضع الحرج (صغر حجم رأس جسره فى الغرب) إلى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا. ثم طور فكرته لأنه أحس أن هذا الانتشار فيه نوع من إضعاف قواته فى الكثافة أمام القوات المصرية.. حاول دخول السويس. قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث فى الشرق. والهدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج فى الغرب، ولكن وضعه عسكريا هش.

لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجى.. قواته شبه محصورة فى الغرب. عجز عن زحزحة قواتنا فى الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا إلى بور فؤاد شمالا. وخلال حرب الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ١٩٧٣ اكتسبنا نحن أرضا جديدة غربا وشرقا. ثم إنه مجبر على التعبئة الكاملة فى إسرائيل. كل لقمة ،كل جرعة ماء ،كل دانة مدفعية

،كل نقطة بنزين يجب أن تصل إليه من بعد ٣٠٠ كيلومترفى الخلف من مخنق عرضه ٦ كيلومترات فتخطيطنا كان يركز على غلق هذا المخنق أو الممر، ونشعله نارا. فى نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته فى الغرب، وأستطيع أن أقول أن هذا كان سيتم فى (لا وقت) أى وقت قليل جدا!؛ لأننا نعلم من خط بارليف أن الدفاع مهما كان حصينا، يمكن اختراقه. فما بالك بهذا الجيب.

قواعد طيراننا قريبة جدا.. الدفاع الجوى استطاع أن ينشئ حائطا ثانيا للصواريخ أقوى مما كان ، العدو ثقته فى نفسه وقيادته اهتزت، ولا شك أن العدو بتصويره الجوى لقواتنا فى الغرب أدرك ما يمكن أن يحدث له، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام. وكان من المستحيل أن تنسحب إسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى إمكانية البقاء .[١]

لماذا انعش السادات إسرائيل ومنحها قبلة الحياة بتراخيه في التعامل مع ثغرة شارون؟

وإذا أراد السادات تخفيف العبء عن الجيش السوري في الشرق، فلابد أن يعود لرئيس الأركان وللقيادة العسكرية المركزية وللقادة العسكريين وعندما

يعترض رئيس الأركان أو قائد القيادة المركزية هنا يكون رأيهما هو المرجح ، لأنهما الأدرى بأوضاع القوات وتمركزها وحالتها وقدرتها العسكرية لكن السادات خلط بين السياسة والعسكرية وهذا خطاء فادح فسحب القوات من غرب القناة، لتصبح المنطقة خالية ومن ثم حدث ما حدث من أمر الثغرة.

---

[١] المصدر السابق بتصرف.

ليتفاجاء قادة الجيش المصري قبل أن يندهش العالم بقبول السادات وقف إطلاق النار في ٢١ أكتوبر!؟

وفى مساء ١٧ يناير عام ١٩٧٤م تم اعلان اتفاق فصل القوات بين مصر وإسرائيل تحت اشراف الأمم المتحدة وتولت السياسة الأمر بعد ذلك.

فى يناير ١٩٧٤ تم توقيع اتفاق فض الاشتباك المصرى الاسرائيلى والذى ينص على سحب اسرائيل لكافة قواتها غرب قناة السويس وسحب مصر معظم قواتها التى عبرت والإبقاء على ٧ آلاف جندى و ٣٠ دبابة فقط .

سيطرت مصر على أرض سيناء تقدر ب ١٢ كيلو شرق القناة من بورسعيد الى ٨ كيلو متر شرق القناه جنوب السويس وهى حدود المنطقة (أ) التى نصت عليها بنود معاهدة كامب دايفيد.